

٢

الاستعمار والإسلام

أنور الجندي



على طريق الأصالة الإسلامية

٢

الاستعمار والإسلام

تأليف

أنور الجندي

دار الأنصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع

[illegible]

ت [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعمار

الاستعمار ظاهرة حديثة فى تاريخ الامم ارتبطت بالحضارة الغربية الحديثة التى ظهرت فى القرن الخامس عشر الهجرى فى أوربا واستطاع العلم التجريبى أن ينقلها الى ثورة الصناعة ، فكان الاستعمار هو محور هذه الثورة حيث لم تكن تملك أوربا من المواد الخام الا قليلا من الفحم ، ومن هنا ارتبطت الصناعة الحديثة بالاستعمار حيث زحفت البلاد الاوربية على الشرق واحتلت مناطق متعددة استطاعت أن تحصل منها على الخامات التى ازدهرت بها الصناعة ثم أعادت هذه المصنعات الى تلك البلاد مرة أخرى لبيعها فأصبح العالم الاسلامى بالنسبة لها مصدرا للخامات وسوقا للتجارة فى نفس الوقت . وقد استطاع الاستعمار فى خلال هذه الفترة الطويلة أن يسيطر على مقدرات البلاد الاسلامية من أندونيسيا وبلاد الملايو الى المغرب فى مرحلتين احداهما (البرتغال وأسبانيا) وهى مرحلة تمهيدية قصيرة ثم مرحلة

الاستعمار الطويل (فرنسا وانجلترا وايطاليا وهولندا) وهى الفترة التى امتدت خلال أكثر من قرنين والتى انتهت فى السنوات التالية للحرب العالمية الثانية على نوع من الاستعمار الاقتصادى والسيطرة الثقافية ، بعد أن جلت قوات الاستعمار العسكرى والسياسى وهذه هى المرحلة التى يمر بها العالم الاسلامى اليوم.

ولقد كان « الاستعمار » الغربى الحديث ظاهرة مفردة مختلفة تمام الاختلاف عن الاستعمار الرومانى والفارسى وعن الوحدة الاسلامية العثمانية العربية التى وصفت بالاستعمار بينما لم تكن أكثر من تضلم اجزاء من الامة الاسلامية الى كيان سياسى واحد .

وقد جاء الاستعمار موجه تاليه لزحف سابق أطلق عليه اسم الحروب الصليبية التى امتدت على جبهة المشرق (الشام ومصر) كما امتدت على جبهة المغرب (الجزائر وتونس) وقد فشلت الحملات الصليبية واندحرت مهزومة ، ثم جاء بعدها المد العثمانى الاسلامى الذى حمى عالم الاسلام أكثر من ثلاثمائة سنة من الغزو الغربى فلما وهنت القوة العثمانية عاود الغرب محاولته للسيطرة على عالم الاسلام وكانت هذه المرة حملة مزدوجة :

المطامع : فيها مطامع الصهيونية ومنهـا مطامع الاستعمار الغربى ومنها مطامع روسيا القيصرية وقد استمر الصراع طويلا بين القوى الثلاثة حتى استطاعت أن تفرض نفوذها على أجزاء العالم الاسلامى على النحو الذى تشكلت به القوى الاستعمارية فى نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت نتائجه : سقوط الدولة العثمانية وتمزق ميراثها بين فرنسا وانجلترا ، وقيام الكيان الصهيونى فى فلسطين واستيلاء روسيا على الاجزاء الاسلامية فى آسيا : القرم وتركستان وغيرها .

ولقد ارتبط الاستعمار منذ اليوم الاول بقوتين أساسيتين هما : التبشير والاستشراق وكان الهدف هو دعم الوجود الاستعمارى بخلق عقلية موالية للغرب ، منحرفة عن أصالة الاسلام الذى يعطيها دائما القدرة على المقاومة والجهاد والمواجهة .

وقد عملت هذه القوى الفكرية على السيطرة على التعليم والثقافة والصحافة من اجل تزييف المفهوم الاسلامى وتخليصه وحجب أبعاده الحقيقية بتصور أن الاسلام دين عبادة ومن ثم فرض الاستعمار النظم

السياسية والاقتصادية والقانونية الغربية على البلاد الاسلامية ونحا منهجها الاصيل المستمد من القرآن الكريم . فرض عليها القانون الوضعى بدلا من الشريعة الاسلامية وفرض عليها المصرف الربوى بدلا من نظام الاقتصاد الاسلامى وفرض عليها النظام الديمقراطى الليبرالى بديلا عن نظامها الشورى .

ولقد كان حرص الاستعمار على أن يوقف نمو الاسلام ونمو اللغة العربية ويعارض القوة القادرة على مقاومته والحيلولة دون وحدة أجزاء هذه الامة باعتبارها خطرا عليه والعمل الدائب على تمزيق الجبهات ، بالانقسام السياسى والعنصرى والطائفى والقبلى وادامة هذه الفرق حتى لا يلتقى المسلمون على وحدة جامعة .

وكان أخطر ما حرص الاستعمار على تقليص نفوذ الاسلام فيه افريقيا وجنوب شرق آسيا وكانت للاستعمار الفرنسى والانجليزى (فى العالم العربى) والانجليزى فى الهند والهولندى فى بلاد الملايو خطط أساسية عامة وأساليب مختلفة متنوعة .

وكان الاستعمار البريطانى من اشد أنواع

الاستعمار قسوة على الاسلام وقد ركز الاستعمار بعامه على البلاد العربية أساسا بوصفها بلاد العربية والاسلام وعلى مصر خاصة بوصفها قلب العالم العربى ، وقد بدأت خطط الاستعمار بالتجارة والاستيلاء على الموانى والبواغير ثم التغلغل فى داخل البلاد والاستعانة بالاقليات فى سبيل ضرب التجمعات الاسلامية والسيطرة على مراكز الحكم والتوجيه برجال لهم ولاء للاستعمار عن طريق الدين أو عن طريق الفكر .

ولقد كانت دعوى الاستعمار الغربى فى احتلال العالم الاسلامى ، هى دعوى التمدين ونقل الشعوب المتنافرة الى مجال الحرية والواقع أن الدول الاستعمارية لم تفد الى العالم الاسلامى لتمدنه بل لتستنزفه ولتستعبد أهله . ولقد كانت نظرة الاستعمار الى العالم الاسلامى هى نظرتهم الى عناصر أقل درجة من الجنس الابيض حامل الحضارة ، وكانت ترى أن الشعوب الملونة ليست أهلا للحرية ولا للرفاهية .

ولقد استطاعت الدول الاستعمارية بعد سيطرتها العسكرية على البلاد الاسلامية أن تسيطر على مقدراتها الاقتصادية وكيانها السياسى ، وان تستدرجها

فى مجال القروض والمعونات واقامة القواعد العسكرية واثارة الاضطرابات الداخلية لاضعافها واستدامة سيطرتها عليها وتقلد بعض الدول الاستعمارية افواجا من أهلها الى البلاد المستعمرة حيث طردوا الوطنى صاحب الارض وسيطروا عليها وجعلوا ذلك وسيلة لزعزعة المجتمعات وتغليب الاقليات الاجنبية على أصحاب الارض الاصليين . وأنشأ الاستعمار أجيالا جديدة تدين له بالولاء وتؤمن بعظمته وسلطانه وتدعو قومها الى التبعية واعتبار الاتجاه نحو الغرب ونحو اللون الغربى المعين (فرنسيا كان أم انجليزيا) هو الاسلوب الوحيد للتقدم .

يقول الفريد كانتول سميث : ان الغرب يوجه كل أسلحته الحربية العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية الى العالم الاسلامى بفرض اذلاله وتحقيره واشعاره بالضآلة والخنوع ، ولقد جرت محاولات استعمارية متصلة على مدى التاريخ لدعم النفوذ الاجنبى فى العالم الاسلامى منها تلك الخطةالتى اعدها كامبل لبرمان الزعيم البريطانى الذى قام بتشكيل من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة وطرح عليها القضية التالية :

هل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الاوربىوانهياره أو تؤخرمصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة وبعد أن أصبحت أوربا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معاملها بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتقــدم .

ولقد كانت خلاصة رأى العلماء هى : ايجــاد عنصر غريب فى المنطقة القائمة بين افريقيا وآسيا من شأنه أن يحول دون وحدة هذه المنطقــــة . ذلك أن أخوف ما يخافه الاستعمار هو انبعاث هذه الأمة عن الطريق الطبيعى لها وهو الوحدة الاسلامية .

ولذلك شجعت الدول الاستعماريةالقوى الغازية على السيطرة وفتحت الطريق امام الصهيونية العالمية للسيطرة على فلسطين وأتاحت لها الفرصة باعــلان وعد بلفور .

لذلك فانها أفسحت المجالللغزو الثقافى الماركسى والغربى والصهيونى على السواء حتى تقع البــلاد الاسلامية فى بلبلة فكرية وصراع اجتماعى يحول بينها وبين القدرة على مقاومة الاســـتعمار أو التحرر من نفــوذه .

كذلك طرحت فى أفق العالم الاسلامى قضايا القومية والاقليمية والديمقراطية والماركسية والوجودية والمادية وكلها محاولات لتمزيق جبهة المجتمع الاسلامى وفكره والحيلولة دون التقائه على وحدة الفكر الاسلامى

كيف واجه العالم الاسلامى الاحتلال الغربى والاستعمار الفرنسى الانجليزى والقوات الطامعة يهودية وروسية وأوربية ؟

لقد وقف العالم الاسلامى كله فى وحدة متراصة منذ اليوم الاول لمقاومة الغزو الاستعمارى وجرد كل ما يملك فى سبيل الدفاع عن كيانه وحماية وجوده ودحر الغزاة ، وقد برز عدد من المعلمين المصلحين الذين حملوا لواء المقاومة وجندو كتائب المؤمنين للمقاومة ، ولم يتمكن الاستعمار من الانتصار عليهم بقوة السلاح فى معركة واحدة وانما تغلب عليهم بالخديعة والمكر ، ولقد فوجىء الاستعمار بهذه القوة المذحورة التى لم يكن يتوقعها فعمد الى تغيير أساليبه وخططه مرة بعد مرة ، من الاستعمار الى الانتداب ومن الاحتلال الى الوصاية ، وظهر له كذب ادعائه بأن هذه الشعوب متأخرة تعجز عن أن تدير شئونها بنفسها ولقد كانت تفعل ذلك قبل حلوله بمئات السنين .

وكشف القادة المسلمون خدعة بريطانيا القائلة بأنها دولة صديقة للاسلام وبينوا أنها كانت العامل الاول فى القضاء على الدولة العثمانية ، وانهم هم الذين رتبوا جيوش الرهبان من المبشرين ونشروهم فى انحاء بلاد المسلمين فى الهند والصين ومصر والسودان والصومال وفلسطين ولبنان والعراق وسائر أرجاء آسيا وافريقيا الاسلامية وامدادهم بالمال وساعدتهم الدولة البريطانية كل المساعدة على تكفير المسلمين صغارا وكبارا واخراجهم من دين الاسلام ، وقد بذل الانجليز كل ما يستطيعون من قوة ومن مكر ودهاء وحيلة ورياء فى هذا السبيل ، والانجليز هم الذين منعوا علماء المسلمين من الدخول الى جنوب السودان المصرى وحالوا بينهم وبين تعليم المسلمين مع سكان تلك الجهات أحكام الدين وآداب المسلمين فأوصدوا فى وجه الهداه سبل الدعوة الى الدين الحق فى حين أنهم غزوا تلك الجهات بجيوش رهبانهم ونشروهم فى تلك الاقاليم ، كذلك كشف المفكرون المصلحون عن الدور الذى قام به الاستعمار عامة والبريطانى خاصة فى القضاء على الدول الاسلامية واستئصالها دولة بعد دولة وهم الذين هدموا دولة الاسلام فى الهند وأذلوا أهلها ، وهم الذين أزالوا الدولة العثمانية دولة الخلافة واستعمروا بلادها ومزقوها كل ممزق وبذلك تمكنوا من

هدم الخلافة الاسلامية وابقاء المسلمين بدون خليفة وهم الذين مهدوا للصهيونية بالسيطرة على فلسطين واحتلال القدس .

وهم الذين مكنوا لهم فى هذه الاراضى العربية الاسلامية وجعلوا منهم قوة عسكرية ذات بأس تهدد الحجاز ومصر وسوريا ولبنان والعراق وسائر بلاد العرب .

وهكذا كشف الدعاة المسلمون خطر الاستعمار البريطانى وكذلك فعل الدعاة المسلمون فى المغربحين كشفوا خطر الاستعمار الفرنسى وكانت الحركات الوطنية كلها حركات اسلامية المصدر والطابع حملت لواء الجهاد بالمقاومة الشعبية وبالكلمة وكشف دخائل المستعمر واهدافه ، والعمل فى نفس الوقت لتحرير الفكر الاسلامى من زيف البدع والاضاليل والخرافات والتماس منابعه الاصيلة ليكون قوة فى المقاومة لا تغلب .

وقد عمدت القوى الوطنية المقاومة للاستعمار الى كل أسلوب فأنشأت المدارس الاهلية لتتحرر من برامج الارساليات الاجنبية ، وأنشأت المستشفيات

ودور الملاجىء وغيرها حتى لا يقع أبناء المسلمين فريسة التبشير الغربى .

وكانت حركات السنوسى والمهدى وجمال الدين ومحمد عبده وغيرها حركات مقاومة ويؤكد الباحثون أن حركة المقاومة لم تتوقف منذ احتلال الغرب عالم الاسلام وان كل الحركات التى قام بها المسلمون سواء كانت حربية عسكرية أم فكرية ، وسواء أكانت باسم الجامعة الاسلامية أو الوحدة العربية أو الوطنية ، انما كانت أساسا اسلامية المصدر تنبع من أساس مفهوم الجهاد الاسلامى .

ولقد اهتز الاستعمار اهتزازا شديدا لحركة الجامعة الاسلامية التى قام بها السلطان عبد الحميد، ولذلك عجل بالقضاء عليه وفرق العالم الاسلامى الى صراع بين القوميات والوطنيات ومع ذلك فان مفهوم (العروبة والاسلام) ما يزال يقلق الاستعمار الذى حاول أن يحل بديلا منه مفهوم القوميات الغربية .

ولقد استطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن تدحض مختلف الشبهات والسموم التى حاولت حركة الغزو الثقافى والتغريب عن طريق التبشير والاستشراق

أن توجه سهاما الى الفكر الاسلامى ، وعملت على كشف جوهر الاسلام ومفهومه الاصيل الجامع المترابط منهج حياة ونظام مجتمع .

قاوم المسلمون الاستعمار فى كل مكان : شامل فى القوقاز وعرابى فى مصر والمهدى فى السودان ويعقوب فى التركستان وعبد القادر فى الجزائر وعبد الكريم فى المغرب ، والسنوسى فى ليبيا واحمد عرفان فى الهند وعمر المختار فى ليبيا وظهر المصلحون المجهدون الدهلوى واقبال والقاسمى والالوسى والعلوى الولى وابن باديس وخير الدين وعبدلكى وجمال الدين ومحمد عبده .

وكان الازهر والزيتونة والقروين ومعاهد دمشق وبغداد كلها معاقل للمقاومة والجهاد الاسلامى ولقد كان الاستعمار يهدف الى أن يحول دون نهوض عالم الاسلام ، كان يرى فى هذا النهوض خطرا عليه ، قال جاردنر : أن القوة التى تكمن فى الاسلام هى التى تخيف أوربا ويقول لورانس براون : اذا اتحد المسلمون أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا على الغرب اما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير. ان الخطر الحقيقى كامن فى نظام الاسلام وفى قدرته على التوسع والاخضاع وفى حيويته : انه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الاوربى .

ومن هنا كانت خطة التبشير التى يصـــورها زعيمهم زويمر بأنها لا تهدف الى ادخال المســلمين فى المسجد بل فى اخراجهم من الاسلام وزعزعة عقائدهم وتشكيكهم فى مقومات فكــرهم وتاريخهم وخلق طابع غربى فى أسلوب الحياة أقرب الى الترف والانحلال .

ومهما حاول الغربيون أن يدعو أنهم يحــاولون تموين الاقطار المحتلة فانهم لن يعطونها الا ما يدمرها، ذلك الفتــات من المســـتهلكات والخمور والسموم والمراقص ، التى تدمر ثروتهم وحيــوية شخصياتهم وتجعلهم «نهارين عاجزين عن المقـــاومة . ولكنهم بشهادة مؤرخهم « تويمبى » لا يفكرون قط فى اعطائهم العلوم : يقول المؤرخ الانجليزى « لا يستطيع الباحث المنصف أن يسلم بأن الاوربيين فى القرن السادس عشر وما تلاه من الازمنة كانوا على استعداد لان يقــدموا للشرقيين والمسلمين من رعايا السلطان ثمرات نهوضهم العلمى هدية خالصة ، وما كان الشرقى العثمــانى يستطيع الافادة من النهضة الاوربية دون ان ينـــزل عن رجولته وحريته هذا هو ثمن التقدم : الذى دفعته احدى الدول الاسلامية حين خرجت عن اللغة العربية والاسلام ثم غيرها الغرب بعد ذلك بانضمامها اليــه

وقال انها عالة لم تستطع ان تضيف شيئا الى العلم أو الحضارة .

ظهر بعد الحرب العالمية الثانية نظرية جديدة فى الاستعمار : هى الاستعمار الاقتصادى الذى حل محل الاستعمار السياسى والعسكرى بعد أن انسحبت قوات الاحتلال من أغلب بلاد الاسلام ، ولكنها تركت وراءها قوى ذات ولاء ثقافى وفكرى ما تزال تسيطر على كثير من المقدرات والمراكز الهامة . ويهدف الاستعمار الجديد الى فرض السيطرة الاجنبية من سياسية واقتصادية على دوله مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ودون الاعتماد فى تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية وأهمها الاحتلال العسكرى .

ولا شك أن تحول الاستعمار الى هذا الاسلوب الجديد بالاضافة الى الاستعمار الاستيطانى الذى تقوم به الصهيونية فى فلسطين ، ويمتد منها الى ما حولها ، بالاضافة الى الاستعمار الثقافى كل هذا يؤكد ان الاستعمار انما يغير جلده ويتحول عن أساليبه التى كرهتها الشعوب الى أساليب أشد خفاء وأكثر كلا وأبعد عن مواجهة الشعوب فى نفس الوقت الذى يحتفظ فيه بخططه وأهدافه الاساسية ويجرى التحول

الاستعمارى اليوم الى التركيز الصهيونى فى قلب العالم الاسلامى بتمزيق وحدة الامة العربية والحيلولة دون وحدة العالم الاسلامى وذلك باعتبار أن الحركة الصهيونية تطمع فى أن ترث النظام الرأسمالى وتمهد لاقامة حكومة عالمية .

وكان الاستعمار الغربى حين وجه كل أسلحته الى العالم الاسلامى لتمزيقه انما يمهد لنفوذ آخر أشد عنفا وشراسة ويفسح الطريق لقوى أشد شرا من قوى الالحاد والاباحة التى تعمل على سحق المقومات الانسانية للمجتمعات والحضارة والاديان كوسيلة لاسقاط الشعوب والامم الاسلامية فى براثن نفوذ استعمارى أشد خطرا يتطلع الى السيطرة على العالم كله .

•

ومن هنا يبرز أثر مخططات الغزو الثقافى الذى يواجه الفكر الاسلامى للتشكيك فى القيم والمقومات الاسلامية واثارة الشبهات حولها .

وتهدف محاربة الاسلام الى القضاء على الطاقة الفكرية والروحية التى بثها فى مجتمعه واهله والقادرة على مقاومة الاستعمار وكشفه ومواجهته والمرابطة فى وجهه .

•

ولذلك فان مخططات الاستعمار فى مجال الثقافة تقول على محاولة ابطال مفعول الوجدان الروحى والدينى والنفسى والخلقى واعلاء شأن المفاهيم المادية واطفاء مفاهيم الفكر والروح والهجوم على القرآن والاسلام وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام والثقافة الاسلامية واللغة العربية بوصفها القوى التى تقاوم النفوذالغربى الفكرى الزاحف من وراء نظريات وايدلوجيات ومذاهب وشبهات مختلفة .

وقد درس الاسلام وقدر ورأى أن خير وسيلة لاخضاع المسلمين هو تغير عقليتهم والقضاء على ثقافتهم وتراثهم ، ولما كانت عقلية العالم الاسلامى وثقافته مرتبطة بالاسلام واللغة العربية فقد ركز عليها ولما كانت وسيلة التغير انما تكمن فى التعليم فقد حرص على غزو تعليمى وثقافى ضخم واسع النطاق وذلك عن طريق ارسالياته ومعاهده الاجنبية . فاستطاع تخريج أجيال جديدة وفق مفاهيمه وأتاح لهذه الاجيال السيطرة والقيادة والزعامة والحكم فى أغلب أنحاء العالم الاسلامى ، كما أطلق حركة التبشير لتحكم تنفيذ هذه الخطة وفرض على الدولة المحتلة أنظمة تعليمية قوامها تحقيق هذا الهدف ، وقد مضت حرب الاستعمار للاسلام لا هوادة فيها باعتبارها العامل الدافع الى

القوة والجهاد والمقاومة ، وكانت هذه الحرب بأساليب مختلفـــة :

أولا : نقص مفاهيم الاســــلام وتحريفها وخلق دعوات تحمل لواء الاسلام وتتنكر لاهم مقوماته وهـــو « الجهاد » الذى هو ذروة سنام الاسلام حيث ألغته الغاءا أو قللت من اهميته أو عملت على تفسيره تفسيرا خاطئـــا .

ثانيا : الطعن على الاسلام والحملة على مقوماته واتهامه بأنه مصدر تأخر المسلمين وضعفهم .

ثالثا : الحملة على اللغة العربية بقصد ايقـــاف نموها الذى يجرى بنمو الاسلام نفسه والعمـــل على تغليب اللغات الاجنبية عليها والدعوة الى العـــامية لاحلالها محل العربية والتنادى باحلال الحروف اللاتينية بديلة للحروف العربية ، فقد كانت اللغة ولا تزال هى ضمير الفكر نفسه ، وما تزال اللغة الفصحى هى مدخل الفهم الى القرآن الكريم وفى القضاء عليها محـــاولة للاغراب والبعد بمستوى الفهم عن القرآن والحيلولة دون الارتباط به .

ولقد كانت حركة التبشير هى أكبـــر الاعمـــال الاساسية لتحقيق هذه الغاية فهى القوة المتحركة فى

جيش الاستعمار لغزو العقـــــول والقلوب فى مختلف الجبهات واثارة الشبهات فى مجال المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة .

وكانت حركة الاستشراق هى المصنع الذى يعد « أدوات العمل » : الشبهات والطعون والشـــــكوك والاتهامات التى يقدمها العلماء الذين يعملون تابعـــين لوزارات الاستعمار فى الدول الغربية ، يقدمونها الى حقل التبشير لنشرها والاذاعة بها فلما كشفت مخططات التبشير ، تخفى التبشـــير وراء التعليم والصـــحافة والثقافة وان كان لا يزال ظاهرا ومتحركا على جهات كثيرة من العالم الاسلامى وخاصة فى قلب افريقيــــا وأرخبيل الملايو .

وقد كشف التبشير عن هدفه الذى لم يكن أساسا تحويل المسلمين الى أديان أخرى بعـــــد أن تأكدت استحالة ذلك للدعاة الذين اقتحموا الازهـــر ووزعوا نشراتهم بداخله ، وعقدوا مؤتمراتهم فى قلاع الاسلام والوطنية مثل بعض أحمد عرابى فى باب اللوق أو فى لكهنو معقل الاسلام وندوة العلماء ودار العلوم فى الهند ولكن الهدف هو اخراج المسلمين من قيم دينهم ومفاهيمه أســـاسا وبذلك يصبحون عجينة طيعة لتشـــكل وفق

مفاهيمهم . وكذلك فان حركة التبشير هى حركة استعمارية تهدف الى خدمة النفوذ الاجنبى وتأكيده ودعم بقائه .

ولم يقف مخطط الاستعمار عند الغزو الفكرى والثقافى عن طريق حركة التبشير التى ركزت على المدارس والجامعات والتعليم بل انه دفع قوى أخرى خطيرة لتكون ركيزة له فى قلب الوطن الاسلامى ، من أهم هذه القوى حركة «الماسونية» مقدمة«الصهيونية» وربيبتها التى مهدت لها الطريق والبهائية التى حملت لواء الدعوة الى هدم الاديان وكذلك استغل الاستعمار اوجه الخلاف الفرعية بين المسلمين فحاول تعميقها وحرص على الابقاء عليها خلال فترة حكمه الطويل ، كما أبقى على الاقليات وأغرى بعضها بالآخر ، وحرص على تجميد الطوائف والقبائل حتى لاتنصهر فى المجتمعات الواسعة وأوجد بينها وبين الاكثريات خصومات وأحقادا ،مستغلاذلك كله لتأكيد بقائه فالاستعمار هو الذى عمق الصراع بين تركيا وفارس وغذى الخلاف بين السنة والشيعة وبين النصارى والمسلمين فى بلاد العرب وبين الهندوك والمسلمين فى الهند ، ولم تنفصل المشكلة الطائفية فى أى من المراحل عن الاستعمار الذى خلقها وغذاها واتخذ منها أداة سياسية يدعم بها

وجوده ، فقد احتضن الاستعمار الاقليات وعمل فيهم على خلق الشعور بكيان خاص ، له انفصال وتميز بحيث يحول بين التقاء العناصر كلها فى وحدة كبرى كما فتح الباب للتبشير والارساليات .

كما أكد الاستعمار فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى عوامل التفرقة العنصريةوالجنسية واستغل فى تثبيت ركائزه كل الوسائل وفى مقدمتها الامتيازات الاجنبية التى منحت الاجانب فى الاقطارالاسلاميةمراكز خاصة ونفوذا متميزا بحيث لا يخضعون لقوانين البلاد .

وتظل موسعاتهم فى حصانة كاملة دون التفتيش أو الرقابة أو التحقيق معها بما تبيح لهما أن تتصرف على النحو الذى تراه دون ان تستطيع الحكومات ايقافها أو محاكمتها . وقاوم الاستعمار كلمة الاسلام والجامعة الاسلامية والوحدة الاسلامية وشن عليها جميعا حربا عنيفة ووصفها بغير ما كانت على الحقيقة، وركز حملته على السلطان عبد الحميد الذى قاد حركة المقاومة ضد زحف النفوذ الاستعمارى حين دعا المسلمين خارج الدولة العثمانية الى الالتفاف حول راية الخلافة الاسلامية فى حركة جامعة لمواجهة الغزو

الزاحف ، ومن هنا كانت تلك الصورة السيئة التى رسمها عملاء الاستعمار للسلطان عبد الحميد وماوصف به وما نشر عنه من أعمال واقوال كشفت الايام من بعد ان ليس لها نصيب من الحقيقة . ولقد تضافرت قوى النفوذ الاستعمارى وقوى الصهيونية على تدمير هذه الحركة واسقاط السلطان عبد الحميد الذى حال بموقفه الصامد دون تمزيق العالم الاسلامى واستيلاء الدول الغربية عليه واحتلاله فضلا عن موقفه المشرف ازاء محاولة الصهيونية فى الاستيلاء على فلسطين وكان موقفا بالغ القوة والصمود . مما حمل المحافل الماسونية فى سالونيك وجلها من الدونمة (اليهود الذين اسلموا تقيه) السيطرة على جمعية الاتحاد والترقى ودفعها الى اسقاط النظام الذى يحمل لواء الجامعة الاسلامية وايقاع الخلاف الدموى بين عنصرى الدولة العثمانية : الاتراك والعرب .

وهناك حقيقة هامة لا سبيل الى تجاهلها هى أن الاستعمار ركز على الامة العربية اكثر مما ركز على أى جزء من العالم الاسلامى وجعل لمصر فى مخطط الاستعمار التبشير والتخريب قدحا معلى ، باعتبارها قلب العالم الاسلامى ومركز القيادة وقد صور (لوثروب ستوارد) فى كتابه (حاضر العالم الاسلامى) هذا الخطر حين

قال : ان سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها فى التاريخ من حيث الفظاعة والخطورة والمدى والمجال .

حرص الاستعمار على أمرين خطيرين فى البلاد الاسلامية ليحول بينها وبين حقها فى النمو والحياة الكريمة :

١ — الغاء تطبيق الشريعة الاسلامية واحلال للقانون الوضعى .

٢ — السيطرة على التعليم وتحويله عن أهدافه الطبيعية فى بناء الانسان المسلم .

وكان الاستعمار حين اقتحم عالم الاسلام فى هذه المرحلة الجديدة قد أعد مخططه على النحو الذى يكفل له تغيير العقيدة الاسلامية والقضاء على مقوماتها الاساسية عن طريق التعليم والثقافة واعتبر هذه الحركة القائمة على الغزو الثقافى والتغريب الفكرى هى كبرى معاركه وأعظم عوامل تثبيت قواعده وتنبه المسلمون الى هذا الخطر فحاولوا من ناحيتهم مواجهة هذا الموقف ببناء مدارس وجامعات لها طابع الحفاظ

على الكيان الخاص والمقومات ولكنهم لم يكن ليبلغوا فى هذا المجال المدى الذى يحقق لهم ما يريدون فقد كان وراء الارساليات والمدارس والجامعات الاجنبية التى انبثت فى مختلف انحاء العالم الاسلامى قوى مادية وأجهزة قوية قادرة على العمل يهيىء لها الطريق ويوسده نفوذ دولها فى العالم الاسلامى فهى محمية بالامتيازات الاجنبية مفتوح أمامها الطريق بالاعفاء الجمركى .

وهنا نشأ تيار جديد دخيل على التيار الاصيل وسارت المدارس الجديدة القائمة فى ظل الاستعمار على مناهج قريبة من مناهج الارساليات والمدارس الاجنبية ووجدت تلك الثنائية التى فرقت وحدة الفكر فى العالم الاسلامى وخلقت صراعا فكريا بعيد المدى استحال معه التقاء المسلمين على رأى موحد .

وقد كان من نتيجة ذلك أن ضعف نفوذ اللغة العربية ومفاهيم الاسلام ، وتشبعت الناشئة بالفكرة الغربية وأعجبت بالبطولات الاجنبية وصار لها ولاء للغرب قوامه انتقاص للاوطان والعقائد والتاريخ الاسلامى ، وكان من شأن هذا أن دعم الاستعمار قواه بأجيال جديدة نشأت على الموالاة والاعجاب والحرص على بقاء نفوذه .

وفى مجال الثقافة حرصت المحاولات الاستشراقية أن تصور الاسلام بأنه دين لاهوتى عبادى لا صلة له بالمجتمع وان من شأن الامم الحديثة أن تأخذ بأنظمة الدولة الديمقراطية الغربية فى السياسة والاجماع والاقتصاد والتعليم .

كذلك رفعت حركة التغريب وليدة الاستعمار شعار العلمانية فى التربية باحضار الدين اساسا من مناهج التعليم وباقصاء الشريعة من مجال القضاء والقانون ورفع شعار الاممية والفكر العالمى للقضاء على « ذاتية » الفكر الاسلامى .

واستهدف الاستعمار من هذه المخططات قيام تقارب والتقاء بين البلاد المستعمرة والقوى الاستعمارية فيها تقبل لوجوده الاستعمارى ، وذلك بازاحة القيم الكبرى الاسلامية التى تحفظ للمسلمين قدرتهم على المقاومة والمواجهة والجهاد وحرب الغاصب والادالة منه والمحافظة على البيضه والاعتصام بالاستعداد الحربى الدائم لارهاب الغزاه .

وكان الهجوم على الشريعة الاسلامية عاصفا شديدا استهدف استبعاد تطبيق الحدود الاسلامية ،

أو نظام الاسلام فى الاقتصاد واباحة التحلل الاجتماعى والنظام الربوى وذلك باقرار القـــانون الفرنسى فى العقوبات . ودعا التغريبوية الى ما يسمى بمدنيـــة القوانين التى تهدف الى نبذ الشريعةالاسلامية ، وقيام الانظمة السياسية فى البلاد الاسلامية على غير أساس الشورى أو القواعد الاسلامية فى الاجتماع والاقتصاد والحرية ، ومتابعةالغرب فى المعاملات الماليةوالعقوبات وكان فى مقدمة هذا التحول الفصل بين الدين والدولة، وحجب الاسلام عن حقيقة جوهره كنظام مجتمعومنهج حيـــاة .

وكان الهدف القضاء على الطوابع الاسلامية فى المجتمعات واحتوائها وسـيطرة الانظمة الاجتماعيـــة والقانونية والاقتصادية عليهـــا بما يؤدى الى زوال السلطة والسيادة الاسلامية .

غير ان حركة اليقظة الاسلامية لم تتـوقف عن مجابهة كل هذه المؤامرات وكشفت عن فساد هــذه التبعية القانونية والسياسية والاقتصادية للديمقراطية والنظام الربوى القانون الوضعى .

وكان لمؤتمر لاهاى الذى عقد ١٩٣٧ اهميةكبرى

فى أنه كشف عن عظمة الشريعة الاسلامية وعن أنهـا نظام مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى وعلت الصحة الى تعديل القانون الجنائى وقدمت عشـرات الابحاث عن ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية وخاصة فى جرائم الحدود ، فان المشرع الوضعى اعتبر الزنا عملا مباحا بينما هو أساس حاسم فى نظر الشريعـة الاسلامية لحماية المجتمع الاسلامى .

كذلك فقد حفلت أبحاث العلمـاء بالكشف عن أخطاء المستشرقين والمبشرين فى تاريخ الاسلام وحياة الرسول وشبهاتهم حول القرآن والاسلام والتحـذير من أخطار كتاباتهم . ولم تتوقف مقاومة الاستعمار فى مجال السياسة وحده بل تعدته الى مجال الاستعمار الثقافى والآثار التى خلفها فى مجال الصحافة والتعليم .

وعملت حركة اليقظة على تحرير الفكر الاسلامى من التقليد والجبرية والجمود واعلان أن باب الاجتهاد مفتوح وازالة ما تجمع خلال فترة الضعف مما نسب الى الاسلام أو وصل به وهو ليس منه وفى مقدمتها الوثنيات وطوابع الفلسفات المادية والقديمة . كذلك تضامنت قوى المسلمين : شيعة وسنة فى كل مكان للالتقاء على الوصـول العامة الكبـرى وذلك لتفويت محاولات

الاستعمار فى تمزيق وحدة المسلمين . ومقاومةماحرص الاستعمار على اذاعته من المذاهب القديمة كالفينيقية فى الشام والفرعونية فى مصر والبربرية فى المغرب ، وكشفت عن أن تلك القوى كلها مصدرها الجزيرة العربية ، وان الاسلام منذجاء فقد أقام حاجزا تاريخيا بين ما بعده وما قبله وان الامم التى دخلت الاسلام قد أنهت مواقعها كلها مع ما قبل الاسلام من لغة وتاريخوعقيدة ، ولم يعد فى الامكان رد التاريخالقهقرى لاحياء هذه الدعوات القديمة التى قضت عليها دعوة التوحيد .

وجملة القول أن العالمالاسلامى بالرغم منضعفه وتخلفه فى مرحلة الغزو الاستعمارى فانه واجه هذه الحملة بالرفض والمقاومة ، وتتابعت منذ اليوم الاول حركة اليقظة وحركة المقاومة بحيث لم تسقط الراية أبدا من أيدى قادة النضال الذين تتابعوا على مختلف جبهات العالم الاسلامى ، لقد رفض العالم الاسلامى ذى الاصالة الاسلامية العميقة هذا الجسم الغريب وقاومه مقاومة شديدة ، ولم يفنى فيه أو ينصهر وبالرغم من كل ما أثاره الاستعمار من وجوه الخلاف فقد كانت هناك أرضا واسعةعريضةللالتقاء والاتحاد، بين المسلمين عربا وتركا وفرسا ، وسنة وشيعة،هذه

الاوضية تتمثل فى وحدة الفكر التى يفرضها الاســـلام وتدعمها القيم الاساسية المشتركة بين المســـلمين جميعا استهراءا من ثقافتهم وتراثهم وجذورهم الممتدة الى أربعة عشر قرنا .

وفى السنوات الاخيرة زادتحركة اليقظةوعمقت وكشفت عن زيوف كثيرة ، وشبهات كثيرةوباتتتعرف طريقها الى المقاومة للاستعمار وللقوى التى توالدت منه وخاصة الصهيونية والماركسية والغزو الثقـــافى فى مجال التعليموالنظم الاقتصادية والقانونيةوالاجتماعية والسياسية ، وما تزال حركة المقاومة عاملة لا تتوقف ،ندفعة الى تلاقى الاجزاء وترابط القوى ، للقضاءعلى آخر معاقل الاستعمار .

رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٣٨٢٩
الترقيم الدولى ٥ ــ ٦٥ ــ ٧٣٨

المطبعة الفنية تليفون ٩١١٨٦٢ ــ القاهرة

على طريق الأصالة الإسلامية

تعالج قضية هامة من القضايا المعاصرة التي تتطلب بيان وجه الإسلام فيها .

١- ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري
٢- الاستعمار والإسلام
٣- الصهيونية والإسلام
٤- الحضارة في مفهوم الإسلام
٥- التاريخ في مفهوم الإسلام
٦- فساد نظام الربا في الاقتصاد العالمي
٧- الدرة المغتصبة بعد ثلاثين عاما « فلسطين »
٨- يقظة الإسلام في تركيا
٩- أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث
١٠- التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعليم

أنور الجندي

دار الأنصار

٨١ ش البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين ت ٩٣١٥٨١